

رحلتي إلى البقاع المقدسة لأداء العمرة  
في 1437هـ/2016م.

أ.د. عبد القادر خليفي\*

مقدمة: الرحلة تسجيل لملاحظات الرحالة من خلال مشاهداتهم وممارساتهم اليومية، وهي أنواع متعددة، تأتي في مقدمتها الرحلة ذات الغرض الديني؛ وهي في الدين الإسلامي زيارة البيت الحرام في مكة المكرمة والمسجد النبوي بالمدينة المنورة (بالإضافة إلى المسجد الأقصى الذي يئن تحت وطأة الاحتلال الإسرائيلي)، وهي تكتسي قيمة معنوية كبيرة في الإسلام. فيها يتم شد الرحال إلى مهد الحضارة الإسلامية ومهبط الوحي، وقد سميت في كثير من الأحيان بالرحلة الحجازية (الحجية). لذلك فإن أكثر رحلات المغاربة هي ذات دوافع روحية تهدف إلى أداء فريضة الحج أو العمرة، وقد تتجاوز ذلك إلى زيارة أماكن أخرى مجاورة كبلاد الشام والعراق ومصر وغيرها.

وإذا كانت الرحلات القديمة قد تميزت بالتححرر من أي التزام بالكيفية التي تتم بها الزيارة؛ فإن الرحلات الحالية تنتظم ضمن مخطط الدولة من خلال تكليف وكالات سفر خاصة للقيام بتأطير عملية الزيارة إلى الأماكن المقدسة ضمن جدول وطني يخضع له الجميع من وسائل نقل والاتصال بالسفارة السعودية ووزارة الشؤون الدينية، هذا فيما يخص العمرة.

أما أداء فريضة الحج فهي من اختصاص وزارة الشؤون الدينية والأوقاف التي تشرف على العملية من خلال هيئة الظروف هناك بالتنسيق مع المصالح المختصة في العربية السعودية، ومن خلال الإشراف على عملية التسجيل في الحج والقيام بعملية القرعة سنويا ثم نقل المقبولين لأداء الحج ذهابا وإيابا. التعريف بالمكان: تعتبر بلاد الحجاز، التابعة سياسيا للمملكة العربية السعودية، بلادا مقدسة لدى المسلمين، وهي تقع إلى الغرب من شبه الجزيرة العربية على الساحل الشرقي من البحر الأحمر، تمتد من الباحة جنوبا وتنتهي عند تبوك وجبال مدين حيث تبدأ أرض الشام شمالا. وهي تتكون من ثلاث مناطق هي من الشمال إلى الجنوب: منطقة المدينة المنورة - منطقة مكة المكرمة - منطقة الباحة.

\* أستاذ التعليم العالي - قسم التاريخ وعلم الآثار - كلية العلوم الإنسانية والإسلامية - جامعة وهران 1 أحمد بن بلة.

يعرف تقي الدين أبي الطيب محمد مكة المكرمة بقوله: "مكة المشرفة مستظلية كبيرة، تسع من الخلائق ما لا يحصيهم إلا الله تعالى. في بطن واد مقدس، والجبال محدة بها كالسور لها..<sup>5</sup> كما يتحدث عن أباها في عهده. أما عن أسماء مكة فيورد ما يلي: "لمكة المشرفة أسماء كثيرة بعضها مأخوذ من القرآن الكريم، وذلك ثمانية أسماء: مكة بالميم وبكة بالياء، وأم القرى والقرية والبلد والبلد الأمين والبلدة ومعاد، ومواضعها من القرآن ظاهرة...<sup>6</sup> ويضيف الكاتب السابق نفسه أن هناك أسماء أخرى لمكة، ويعددتها كالتالي: برة - بساق - البيت العتيق - الرأس - القادسية - المسجد الحرام - المكان - النائية - أم رُوح - أم الرحمن - أم كوئبي.

أما المدينة المنورة فكانت تسمى يثرب حتى ظهور الإسلام، وسُميت مدينة الرسول بعد انتقاله إليها بعد هجرته من مكة. يقول عنها قطب الدين الحنفي ما يلي: "أول من سكن المدينة هم العماليق ثم اليهود في عهد موسى عليه السلام الذين قضاوا على العماليق وعلى ملكهم عوج وأمه عناق. وأن قبيلتي الأوس والخزرج جاءتا بعد حادثة سبيل العرم الذي ضرب اليمن. وتحالف الأوس والخزرج مع اليهود ثم قسم الحلف ووقعت العداوة بين الطرفين، وبعد مدة تفوق الأوس والخزرج على المدينة، وأصبحوا سادتها،<sup>7</sup> حيث لا يحدث أمر في يثرب إلا يرضي القوم، وعندما جاءها الرسول كانوا هم الذين استدعوه وقبلوه بينهم دون استشارة اليهود أو غيرهم من سكان مدينة يثرب آنذاك.

مقدمات الرحلة: كانت وما تزال الرغبة في زيارة البقاع المقدسة من أهم آمال المسلم؛ فالشوق إلى زيارة بيت الله الحرام في مكة المكرمة، وزيارة قبر النبي محمد صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة، من أعز ما يتمنى المسلم في حياته. يقول المؤرخ سعد الله عن ذلك ما يلي: "إن توجه الجزائريين إلى الحجاز كان عادة نتيجة توفيق روعي نحو الحرمين وزيارة البقاع التي وطنتها أقدام الرسول صلوات الله عليه وسلم وصحابته؛ فالحجاز في نظرهم ليس مجرد بقعة جغرافية تزار للسياحة والعلم ونحو ذلك، ولكنها كانت قطعة أرض طاهرة تضم تاريخ الوحي والدعوة والأمة الإسلامية، ولذلك فهم يسجلون عواطفهم المتأججة لرؤية الحجاز وأهله والتبرك بتزابه وهوائه."<sup>8</sup>

بعد أن أدبت فريضة الحج في شهر فيفري من سنة 2002 حاولت أداء العمرة بالتسجيل في قائمة الراغبين في الاستفادة على حساب الخدمات الاجتماعية التابعة لقطاعنا الوظيفي، وعندما لم أوفق عن طريق القرعة كما هو ساري المفعول، قررت الاعتماد على نفسي والسفر على حسابي فسجلت في إحدى وكالات السفر بحج للقرى (سانت أوجان سابقاً) بوهران.

تعود قداسة بلاد الحجاز عند المسلمين لوجود المسجد الحرام بمكة المكرمة، وفيه الكعبة المشرفة التي بناها سيدنا إبراهيم عليه السلام، استناداً إلى قوله تعالى: (وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمَنْ ذُرِّيَّتْنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ).<sup>1</sup>

من هنا يتبين لنا أن إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام هما اللذان بنايا البيت الحرام، واستقرت بالمكان بنو جرهم ليتحول المكان بعد حين إلى مكان للعبادة والتجارة وبخاصة في العهد الذي تألفت فيه قبيلة قريش.

في هذا المكان ظهر محمد بن عبد الله القرشي نبياً، وهو الذي شارك في رفع الحجر الأسود الذي يزعم الكعبة، وهو الصادق الأمين قبل البعثة، عندما اختلقت القبائل فيمن يرفعه فحاصموا إلى أول داخل إلى المكان، فكان هو محمد الأمين كما كانوا يدعونه. يذكر للسعودي أنه لما بنت قريش الكعبة - بعد أن هدهما السيل - "...ورفعت سمكها... وانتهوا إلى موضع الحجر... وتنازعا أيهم يضعه، فاتفقوا أن يرضوا بأول من يطلع عليهم من باب بني شيبه، فكان أول من ظهر لأبصارهم (هو) النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك الباب... فحكموه فيما تنازعا فيه وانقادوا إلى قضائه...<sup>2</sup> وكانت القصة المشهورة التي أزيلت بوادر الفتنة.

في هذه المنطقة نزل الوحي على محمد بن عبد الله القرشي، وهو يتعبد في غار حراء بالقرب من مكة، وعندما اضطلهته قريش هو وأصحابه هاجروا إلى يثرب التي استدعى منذ ذلك الحين بالمدينة المنورة والتي دفن فيها النبي صلى الله عليه وسلم، وأصبح فيه ومسجده مزاراً للمسلمين.

يقصد المسلمون هذه البلاد لقضاء شعرتين: أولاهما الحج وهي الركن الخامس من أركان الإسلام يؤديها المسلم مرة في العمر (من استطاع إليه سبيلاً)، كما يمكنه القيام بها أكثر من ذلك زيادة في الأجر. وثانيهما هي العمرة، والتي يستطيع المسلم تأديتها كلما سنحت له الفرصة، وهي ليست فرضاً كشعبوية الحج، يقول الله سبحانه وتعالى: "وَأَتَيْتُمُ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ...<sup>3</sup> وعن الصفا والمروة يرد قوله سبحانه: "إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ أَوْ عَمَّرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ."<sup>4</sup>

وأهم ما يشد للمسلمين إلى هذه الأرض مدينتا مكة المكرمة والمدينة المنورة، وتمثل كل من المدينتين أمانة بحسب التقسيم الإداري للمملكة العربية السعودية التي تتكون من أمارات، وكل أمانة تقسم إلى محافظات.

كنت أعلم أن هناك تعليمة داخلية تنبه الموظفين في القطاع أن الدولة تسمح لموظفيها بالتغيب لأداء فريضة الحج، لكنها لا تسمح بذلك في حالة تأدية العمرة. وقد أشارت الوثيقة إلى أن على الراغبين في تأدية العمرة القيام بذلك في العطل الخاصة ومنها العطل المدرسية.

لذلك قررت الذهاب في عطلة ربيع سنة 2016 (شهر مارس)، صحبة زوجتي وابتنائي الصغيرين. دفعت للرفق المطلوب إلى الوكالة المعنية وانتظرت الحصول على التأشيرة من مصالح السفارة السعودية. وقبل أسبوع من تاريخ الإقلاع عادت جوازات السفر وعليها التأشيرة بقبول السفر إلى البقاع المقدسة لمدة شهر كامل.

كان تاريخ الذهاب هو يوم 20 مارس مساءً على أن تكون العودة يوم 5 أبريل صباحاً (15 يوماً)، وهو ما سجل في تذكرة السفر. حزمت أمتعتي وانتظرت اليوم للموعد. كان يوم أحد حين انقبتا بالمرشد بمطار وهران أحمد بن بلة. دفعت الأمتعة، وحلست في قاعة الانتظار رفقة الزوجة والبنتين، تبعنا الطابور للدخول إلى المطار والصعود إلى الطائرة عن طريق الحافلة.

في اتجاه الحجاز وقضية الإحرام: للحزائيرين وجهتان في طريقهم إلى البقاع المقدسة. فمنهم من يقدم إليها من الشمال، فيمرن بالمدينة المنورة سواء جازوا عن طريق الجزائر - إسطنبول - المدينة، أو عن طريق الجزائر - المدينة مباشرة، وهؤلاء يمرن بمقات ذي الحليفة - أبيار علي - بعد الخروج من المدينة في اتجاه مكة المكرمة. والوجهة الثانية هي طريق الجزائر - جدة، ويخترن هؤلاء من الجحفة - رابغ - الواقعة شمالي جدة.

وبهذا فإن المارن بالمدينة ينزلون في مطارها، وبعد إتمام زيارة المدينة وبعض مواقعها المرتبطة بالتاريخ الإسلامي، يغادرون المدينة في اتجاه مكة المكرمة، وفي طريقهم هنا، يخترن من أيلر علي التي يمرن بها غير بعيد عن المدينة المنورة. أما الذين يمرن بجدة فإن المسألة معقدة بالنسبة لهم، فالطائرة لا تنزل في الليقات المعلوم وهو الجحفة، بل تنزل في جدة. لذلك نجد الأغلبية يخترن في الطائرة عندما يعلن ريان الطائرة الركاب بالمرور على الليقات، ومنهم من يتبنى فتوى وزارة الشؤون الدينية والأوقاف الجزائرية بالإحرام من جدة نفسها بعد النزول من الطائرة، كل ونبيته وقناعته. وبمر هؤلاء بعد عملية الإحرام، بمكة فيؤدون للناسك ثم يتجهون بعدها إلى المدينة المنورة لزيارة قبر الرسول وبعض المواقع الدينية.

كانت رحلتنا هي المرور عبر مدينة جدة، وقد تأخرت الطائرة عن موعد الإقلاع بساعتين (19.45) كعادة طائراتنا ووسائل مواصلاتنا المختلفة. اعتدلت المضيبة التي خاطبتنا في الطائرة وأخبرتنا أننا سنصل مطار مدينة جدة بعد خمس ساعات من الطيران. وقبل حوالي نصف ساعة من وصولنا إلى الليقات

أخبرنا ريان الطائرة بذلك كي تنهيا لارتداء اللباس الخاص بإحرام الرجال، وهو قطعتي قماش يضع المخرم إحداها في خصره لتغطي نصفه السفلي وثانية تسدل على الكتفين، وهذا بالنسبة للرجل، أما المرأة فتحرم بلباسها العادي، وليس لها من الإحرام سوى النية: "لبيك اللهم عمرة".

وقد اختلف المسافرون في الإحرام، فقد عزم جلهم على الإحرام من الليقات الذي عينه الرسول صلى الله عليه وسلم وهو الجحفة أو رابغ (شمال جدة)، عندما تمر عليه الطائرة، ولصعوبة تغيير الملابس في الطائرة نجد من المسافرين من يضع اللحاف السفلي قبل أن يمتطي الطائرة، على أن يضع الستل العلوي بعد أن يعلن ريان الطائرة الوصول إليه؛ بينما اتخذ البعض الآخر فتوى وزارة الشؤون الدينية والأوقاف الجزائرية وهو الإحرام من جدة بعد الوصول إليها. وبمجرد ارتداء لباس الإحرام ونية الإحرام تبدأ التلبية:

"لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك". الوصول إلى الفندق: كانت الساعة تشير إلى منتصف الليل وخمس وأربعين دقيقة (00.45) صباحاً بتوقيت الجزائر (2.45 بتوقيت السعودية) من يوم 21 مارس 2016 عندما وصلنا مطار جدة. قام المرشد بتجميعنا في أحد الأمكنة في المطار ليتصل بالحافلة التي حضرت لتأخذنا إلى مكة المكرمة. وفي الطريق إلى مكة حل توقيت الصباح، نزلنا في إحدى المحطات حيث صلينا الصبح وواصلنا لمسير نحو مكة المكرمة. وبعد ساعة من الزمن وصلنا فندق "صرح لليلة 5" أحياد، شرقي البيت الحرام. هناك أدخلنا أمتعتنا في الغرف المعينة لكل مجموعة.

كانت الغرفة رقم 307 ذات الأربعة أسرة مع خزنة وثلاجة من نصيبنا، وتقع في الطابق الثالث. يتنوي الفندق على ثلاث مصاعد كهربائية جد متسعة. يجلس الموظف في مكتبه عند مدخل الفندق، يوجه ويرد على استفسارات التازلين في الفندق، ويحتفظ بمفاتيح الغرف عند خروج التازلين فيه. بعد للدخل توجد قاعة استقبال تحتوي على مجموعة من الأثاث أمام جهاز تلفاز من النوع الكبير. وأمام الفندق تتبع حفلات من النوع الصغير تحمل العمار ليجتازوا منحدر الفندق، كما أنها تنتظرهم أسفل المنحدر عند خروجهم من الصلاة المكتوبة، لا يعد الفندق عن المسجد الحرام سوى بعض اللثات من الأمتار.

الطواف: يعتبر الطواف أحد أركان الحج والعمرة على السواء. لذلك قمنا بالطواف سبعة أشواط بمجرد انتهائنا من وضع أمتعتنا في الفندق. يتسع صحن المطاف حول الكعبة كثيراً، يطوف فيه الناس، كما يجلس على محيطه مصلون وقراء للقرآن الكريم وتحتهم الأفرشة وإلى جوانبهم قلل ماء زمزم.

وهناك طابق أول لمن أراد الطواف فيه وبخاصة أصحاب العريات التي تحمل عليها ذوي العادات وكبار السن. وطابق ثان فوق الأول يقوم بلهمة نفسها. من هنا الأخير يشرف الواقف على رؤية الكعبة كلياً عكس بقية الجهات.

من عيوب الطابقين (2+1) الذين أقيما فوق صحن المطاف هو نظمية الكعبة. فقد كان الداخل إلى صحن الطواف يرى هذه الأخيرة كاملة بأمتها. وهو اليوم لا يرى سوى بعض أجزائها. لكن حدث ما لم يكن في حسابنا، إذ بعد عودتنا بأيام قليلة، ومن خلال ملاحظتنا للكعبة عبر التلفزة، بدأ نزع تلك الأروقة المخصصة للطواف في الطابقين (أبريل 2016).

يتكاثر الناس حول الحجر الأسود محاولين الوصول إليه للمسح أو تقبيله، وبذلك يعتبر المكان الأكثر ازدحاماً في مسار الطواف. كما أن هناك أسباباً أخرى:

- منه يبدأ الطواف فتجد كل فرد أو جماعة تتراحم للدخول إليه.

- وينتهي إليه الطواف بإتمام سبعة أشواط، ومنه يتم الانجاء إلى السعي والمرورة في مناسك الحج والعمرة، أو للخروج فقط في حالة النافلة.

- يتوقف عنده الطائفون لحظات للإشارة بالسلام إلى الحجر الأسود، في قولهم: بسم الله والله أكبر؛ عوض تقبيله لعدم القدرة على الوصول إليه، وهم بذلك يتربثون مما يؤدي إلى ثقل الحركة في المكان.

بعد استلام الغرفة ووضع الأمتعة، كما ذكرنا، جلدنا الوضوء واتجهنا إلى البيت الحرام، دخلنا من باب فهدي وهو أقرب باب إلى فنناقتنا. فضعنا التلبية وبدأنا الطواف من الحجر الأسود واشغلتنا بالأدعية. طافت النساء بلباسهن بينما قمت بعملية الاضطباع، وهو وضع اللحاف العلوي تحت الإبط الأيمن. لم أتمكن من القيام بعملية الرمل (الإسراع في المشي مع تقارب الخطى) في الأشواط الثلاثة الأولى، كما هو مطلوب، لاضطحابي زوجتي وابتساي، واكتفيت بالسير العادي معهما. أدينا سبعة أشواط وصلينا ركعتين خلف مقام إبراهيم، ومن هناك اتجهنا إلى مطاف السعي بين الصفا والمرورة، حيث سبعينا سبعة أشواط مع الدعاء والتضرع لله سبحانه وتعالى، ثم قمنا بالتقصير من شعر الرأس (هناك من الرجال من يخلق شعر رأسه كلياً)، وبذلك تحللنا من الإحرام، وعدت إلى لباسي العادي.

التعب في مكة المكرمة: كانت الإقعدة في مكة المكرمة ابتداء من يوم الاثنين 21 مارس حتى يوم الجمعة أول أبريل بعد صلاة الجمعة. كان علينا الصلاة في الحرم المكي للحصول على أجر مائة ألف صلاة عن كل صلاة تصلى في الحرم. فقد روى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "صلاة في مسجد

للمدينة بعشرة آلاف صلاة، وصلاة في المسجد الأقصى بألف صلاة، وصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة." وفي حديث آخر: "العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة."<sup>10</sup>

لذلك يحرص زوار الأراضي المقدسة على الصلاة في المسجد الحرام وفي الوقت المعلوم حتى يحصلون على الثواب المعلوم. أما من يرغب في الصلاة في صحن الطواف أي ساحة الكعبة فعليه بالتبكير لأن للمساحة محدودة، وكلما اقترب وقت الصلاة ازداد تحاقق المصلين على المكان، لذلك يعمل المنظمون هناك على التخفيف من الازدحام بغلق الأبواب واحداً بعد الآخر.

ويقل التمتع بالنوم هناك لرغبة المصلين في الصلاة بالحرم والحصول على الأجر المعلوم بالقيام مبكراً، خلال فرصة الوجود هناك والتي قد لا تتكرر لبعده المسافة وارتفاع التكاليف لدى أغلب المسلمين.

كما نستيقظ باكراً للتمكن من حجز مكاننا بالقرب من الكعبة المشرفة أو ما يدعى هناك بصحن المطاف. نبدأ بالطواف سبع أشواط كما هي الشعيرة، ثم نختار مكاناً على أطراف الكعبة، على أن يتجه الرجال إلى الأماكن المخصصة لهم ونتجه النسوة إلى الأماكن المخصصة لهن، إذ لا يسمح بالصلاة بالاختلاط بين الجنسين. ولذلك كلما اقترب وقت إحدى الصلوات المكتوبة يمر المنظمون ليطلبوا من النساء مغادرة الأماكن المخصصة للرجال.

بعد تأدية صلاة الصبح (حوالي الخامسة صباحاً) نتجه إلى الفندق لإكمال نومنا لنستيقظ ما بين الساعة التاسعة والحادية عشرة، فنحضر غداءنا ثم ننتقل إلى المسجد في انتظار صلاة الظهر (12:20)، وفي انتظار الصلاة نتفح المصحف لقراءة ما تسر من القرآن، مع العلم أن هناك خزانات صغيرة تحوي للمصاحف هنا وهناك لمن أراد استغلالها للقراءة. وهي نوعان: النوع العادي مكتوب بالحروف العربية المستعملة في البلدان العربية، والنوع المكتوب بالحروف العربية المستعملة في اللغة الفارسية والأردية.

نعود ثانية، بعد تأدية صلاة الظهر، إلى الفندق لتناول الغذاء سواء بشرائه الوجبة من المطاعم المنتشرة في جهات عديدة أو بتحضيره داخل الغرفة، لتستريح بعد ذلك استلقاء أو نوماً. ونتجه بعد الراحة إلى المسجد لتأدية صلاة العصر، ولا نعود إلى الفندق إلا بعد صلاة العشاء؛ على أن نملأ الوقت بالطواف أو بصلاة النوافل أو بقراءة القرآن أو بزيارة أجنحة المسجد كالمكتبة والإطلاع على جنبات المسجد الواسعة وأبوابه الفارهة، أو بالخروج لوقت قصير لتأدية مهمة ما في أطراف المسجد حتى لا نفقد المكان الذي نختاره قبل قدوم كل المصلين، وهذا قبل حلول وقت الصلوات المفروضة.

هناك، في البلاد المقدسة، المتمثلة في مكة المكرمة والمدنية المنورة، ينفصل الإنسان عن محيطه الدنيوي، وينقطع عن كل ما يربطه بالحياة المعروفة، فلا تلفزة ولا إنترنت ولا جريدة ولا مذياع، كل شيء متجه نحو

العبادة: الذكر وقراءة القرآن والصلاة والطواف. أما الوسيلة الوحيدة التي كانت تربط بالحياة العامة فهي الاتصال بالأهل في البلد عن طريق الهاتف، فهي الوسيلة الوحيدة التي كنا ندخلها ضمن برنامجنا العام. أيام الصوم: يتواتر لدى المسلمين نوافل الصيام مثلها في ذلك مثل نوافل الصلاة. ومن نوافل الصيام صوم أيام الاثنين والخميس وصيام الأيام البيض وهي أيام 13 و14 و15 من كل شهر هجري، في هذه الأيام يقدم بعض المحسنين الإفطار لزوار البيت في صحن المطاف؛ منها الشاي والقهوة ومشروب الزنجبيل والشمر وبعض المرطبات وبخاصة المياه الباردة، وذلك عند أذان صلاة المغرب.

يجلس الواحد منهم ومعه أجهزة الشراب كالأبريق والكؤوس يوزعونها على المصلين بعد أن يفرشوا ما بين الصفوف بأغطية بلاستيكية، ليجمعوها قبيل إقامة صلاة المغرب في سرعة ونظام. ويتقدم التمر كل تلك الأطعمة، إلا أن السعوديين، عكس ما هو لدينا في الجزائر، لا يقدمون التمر مع الحليب، بل يقدمونه مصحوبا إما بمشروب الزنجبيل أو القهوة أو الشاي.

وهي في واقع الأمر عملية مفيدة وعمل خير، إذ أن المصلين وزوار المسجد في حاجة إلى مثل تلك المشروبات المشبعة، سواء كانوا من الصائمين أو من غير الصائمين. لأن هؤلاء المحسنين لا يفرقون بين هذا وذلك، كل ما يفعلونه هو تقديم ما أعده لكل من كان في الصفوف الأولى المقابلة للكعبة.

الأذان: هناك نظام خاص بالأذان بحسب ما لاحظناه في رحلتنا هذه. ففي المسجد الحرام وقبل عشرين دقيقة من وقت الأذان ينسف المؤذن بفسحة واحدة في المكرو كتحضير للأذان، وبعد الأذان ينتظر المصلون ربع ساعة حتى الإقامة. في هذا الوقت يشرع المرشدون أو المحافظون على الأمن في منع النساء من الصلاة مع الرجال ويوجهون للصلاة في الأماكن المخصصة للنساء (غالبا ما يحاول الأزواج البقاء إلى جانب بعضهم البعض خوفا من تيهان أحدهما عن الآخر).

التهوية: تقع بلاد الحجاز في منطقة حارة وهي الصحراء، التي لا تنخفض فيها درجات الحرارة سوى بنسبة قليلة في الليل أو في فصل شتاء نصف الكرة الشمالي. أي أن الحرارة مرتفعة سنويا. وهذا يتطلب تحية الظروف للناس لزوار البيت، وبخاصة وأن الدولة السعودية التي تستضيف زوار البيت تتمتع بغنى كبير سواء لتوفيرها على محرك الطاقة العالمية وهو البترول والغاز الطبيعي، أو لاحتياجها على الأماكن المقدسة التي يقصدها المسلمون من كل جهات العالم، مما يدر عليها مداخيل طائلة طوال شهر السنة من زوار الرحمن؛ فهناك الحج السنوي وهو في مواعده الشرعي، وهناك شعيرة العمرة التي لا تتوقف سوى أيام الحج.

ولهذا تعمل العربية السعودية على توفير الجو المناسب للزوار حتى يقيموا شعائرهم وهم في اطمئنان وراحة. وهم يستقبلون من التهوية في جهات كثيرة، لا تكاد تخلو منها حجرة في فندق أو رواق في محل أو داخل للمسجد الحرام نفسه. وقد وسعت الدولة السعودية التهوية حتى إلى الساحات المحيطة بالبيت الحرام فبها تحوية عن طريق رش الرذاذ الذي ينعش المكان ويخفف من حرارته.

كما تحاط ساحة الكعبة أو ما يسمى هناك بصحن الطواف العاري من أعلى، والمواجه لأشعة الشمس، بأجهزة تحوية تدور يمينا وشمالا لتحرك الهواء على الطائفتين وعلى المصلين أو الجالسين في انتظار الصلاة المكتوبة.

مياه زمزم للشرب: تتواجد مياه الشرب المشتملة في مياه زمزم، في أمكنة معينة بحيث لا تعيق الحركة داخل المسجد وفي الوقت نفسه هي قريبة من المصلين أينما كانوا. فترى راميل مياه زمزم متراسة هنا وهناك وبجانباها الأكواب (Jetable)، يأخذ العطشان الكأس من مجموعة الكؤوس الموجودة على يمينه ليشرب ثم يرم به في مكان معد له على اليسار. إذ يضع القائمون على نظام المكان مجموعة من الكؤوس إلى حوار كل راميل، وهم في مراقبة دائمة لحذد البراميل؛ فيمجرد قرب فرائها يسرع هؤلاء إلى استبدالها بأخرى مملوءة بالماء، ماء زمزم، للشرب وطلب الشفاء، استنادا إلى ما ورد في الحديث النبوي: "ماء زمزم لما شرب له." كما يمكن لأي مُصل أن يعي قارورة صغيرة يحملها معه ليشرب منها حين الحاجة دون العودة إلى مكان تلك البراميل. ويمكنه أيضا أن يحمل تلك القارورة إلى غرفته ليشرب هناك بعد أن ينسحب من المسجد الحرام.

ونظرا لرغبة الجزائريين الذين يتظفرون الحاج والزائر لبيت الله عموما، من أجل الحصول على شربة ماء زمزم؛ يحاول زوار بيت الله الحرام الحصول على أكبر قدر من مياه زمزم، لإطفاء ظمأ العطشى والمشوفين إلى تلك الشربة. كما يحاول البعض الإتيان بتمر العجوة المطلوب من قبل المسلمين باعتباره تمر الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو تمر من إنتاج المدينة المنورة، يتدرج لونه من اللون العسلي قليلا إلى اللون العسلي الداكن، وهو تمر حلوة المذاق.<sup>11</sup>

نظافة المسكان: تقوم الدولة السعودية بعملية نظافة الحرمين بشكل منظم ودائم. فقد عينت لذلك فريفا من الرجال داخل الحرمين وفي محيطهما. وهم في عمل دؤوب وحركة نشيطة، يظهر من كلامهم ومن مسحتهم البيولوجية أنهم أسويون من الهند وباكستان وبنغلاديش.

يحمل هؤلاء العمال معهم أكياسا من البلاستيك وحوايات لتجميع القاذورات الساقطة على أرضية المسجد أو على أطرافه في الساحات المحيطة به. كما تصاحبهم في بعض الأحيان سيارات صغيرة الحجم

الظروف والإمكانات المتاحة. أما في العصر الحديث فقد أمر الملك عبد العزيز سنة 1357هـ بإنشاء مكتبة بجوار المسجد الحرام وتُنقل في أماكن عدة واستقرت في مبنى حكومي افتتح سنة 1406هـ/1985م وبعد مدة استُجر مبنى للمكتبة في مكان بعيد عن المسجد الحرام.

ونظراً للحاجة إلى وجود مكتبة قريبة من الحرم تقرر إنشاء هذه المكتبة داخل المسجد الحرام في عهد الشيخ عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس لتكون رافداً مهماً من روافد العلم والمعرفة، ويستفيد منها كل زائر لبيت الله الحرام، فتم اختيار المكان وزود بأحدث الأجهزة الحديثة واختيرت الكتب بعناية فائقة لخصوصية المكان في وقت قياسي حتى أصبح المكان مكتملاً لاستقبال المطالعين.<sup>13</sup>

وهكذا تم افتتاح المكتبة يوم 22-7-1434هـ/2013م تحت الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي. ويشرف عليها نائب الرئيس العام لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي.

وتبلغ مساحتها ألف متر مربع، وتحتوي على ما يقارب ثلاثين ألف مجلد، وأكثر من خمسة آلاف وستمائة عنوان.<sup>14</sup> وهي تتربع على مساحة مستطيلة الشكل تحيط بها من كل الجهات خزائن للكتب. يتكون مقرها من ثلاثة أروقة (صفوف) ضمن قاعة واسعة:

- رواق به عشر طاولات يحيط بكل واحدة منها أربعة كراسي مريحة يجلس عليها القراء الذين حضروا للمطالعة. وفي وسط القاعة مجموعة من أجهزة الكمبيوتر (صفان أثنان) يمكن للزوار استعمالها للاطلاع على محتويات المكتبة.

- رواق ثالث خلف أجهزة الكمبيوتر له نفس عدد الطاولات السابقة (10) وحولها كراسيها.

في المدخل ساعتان حائظتان واحدة على يمين الداخل إلى المكتبة وثانية على يساره، وعليها أوقات الصلوات الخمس.

يمكن زيارة المكتبة في كل أوقات العمل ما عدا أيام الجمعة والسبت المخصصة للنساء من الساعة الرابعة عصراً حتى الثامنة مساءً. تجد أمامك موظفاً يسجل التملك وكذلك في سجل بين يديه، ويسمح لك بالولوج إلى المكتبة.

\*\* تحيط خزائن الكتب بقاعة للمكتبة. فعلى اليسار تجد خزائن لبعض المواد، كما هي موضحة للناظر وهي: الحديث النبوي - السيرة النبوية - العقيدة - الفقه - أصول الفقه - المذاهب الفقهية: الحنفي - المالكي - الشافعي - الحنبلي - الفتاوى - اللغة العربية - النحو والصرف - الأدب العربي - التراجم - الإنسان - التاريخ الإسلامي.

معدة لغرض النظافة، في أسفلها مكسة تسير بشكل دوارتي لكس الأرضية بما يوجد في أسفلها من نظافات، ويكثر تواجد هذه السيارات في محيط الحرمين أكثر منه داخلهما.

يتحرك عدد كبير من أعوان النظافة داخل المسجد وخارجه وبأيديهم للكانس يمرون بها على أرضية المسجد وأطرافه بصفة دائمة، من أجل نظافة المكان، وبأيديهم أكياس بلاستيكية يمكن لكل زائر أن يرمي بها ما هو في غنى عنه من بقايا.

من الأعمال التي يقوم به هؤلاء هي:

- تلميع جوانب البيت الحرام من الغبار وما لصق بجوانب البيت الحرام.

- تعظيف البيت الحرام بأجود أنواع العطور.

- تنظيف الحرم بالكس المتواصل وبوضع أكياس على أطراف الممرات لرمي النفايات وتوفير حاويات لجمع القمامة ومختلف الفاذورات على الجوانب وعلى أطراف المسجد.

مسألة غريبة في صحن المطاف: حدث في يوم السبت 26 مارس 2016 وأنا جالس بصحن للطواف، قبالة الكعبة، بين صلاة المغرب وصلاة العشاء، عندما كانت الساعة تشير إلى الساعة والنصف مساءً حين قامت جماعة من الأتراك بمحاولة لإيجاد مكان لها بين المصلين الذين ينتظرون صلاة العشاء وهم يقرأون القرآن. تمكنوا -بمساعدة للمصلين- من إيجاد مكان لمجموعتهم وهم حوالي سبعة أشخاص يؤمهم رجل قالوا لنا إنه الإمام. سألت إمامهم عن نوع الصلاة التي يودون القيام بها فقال إنها صلاة التسبيح.

كبر الإمام وكبروا خلفه، وانطلق يتلو بعض الأدعية المأثورة بسرعة كبيرة لا تكاد تهم منها شيئاً إلا إذا كنت تلري بعض الأدعية المأثورة. بعدلا تلا الفاتحة وسورة ثم عاد إلى الأدعية وبالسرعة نفسها. ثم ركع وقام بالأدعية ثم رفع من الركوع وتلا الأدعية وهو رافع من الركوع ثم سجد وتلا الأدعية ثم رفع من السجود وتلا الأدعية. وهكذا واصل على الوتيرة نفسها خلال أربع ركعات بركوعها وسجودها، كانت أربع ركعات وليس اثنان لتلان تدلان على التوافل، فهي كما رأينا قريبة من الصلاة المكتوبة بركعاتها الأربع وبتلاوة الفاتحة والسورة ومعها كلها الأدعية وبسرعة كبيرة جداً. وأهم دعاء كان - بحسب تتبعي لقراءته - هو: سبحان الله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم... أو: (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر) عرفت من مظهرهم أنهم يتسبون إلى إحدى الطرق الصوفية، وسألت ذلك الإمام عن الطريقة التي يتبعونها فذكر لي أنها النقشبندية وذكر زعيمها إسماعيل كذا...<sup>12</sup>

مكتبة الحرم: توجد بالحرم المكتبة هامة، يمكن الصعود إليها في مدخل خاص، عبر أدرج في الدور الثاني من توسعة الملك فهد (باب الملك فهد)، يعود تاريخ نشأتها إلى العهد الإسلامية الأولى بحسب

\*\* وهناك كتب بلغة برّاي، وأخرى بلغات غير عربية: ألمانية- اندونيسية- مقدونية- يورمية- إيلانوية فلبينية- صومالية- تركية- لغة الأنكلو؛ وبهذه اللغات ترجمات للقرآن الكريم وتفسيره وكتب إسلامية مختلفة.

\*\* وهناك واجهات زجاجية لمخطوطات نادرة، منها: مسند الموطأ- الفروسية والمناصب الحربية- الفوائد (الغياليات) - مجمع البحرين في زوائد المعجمين- ديوان الشاعر أبي الطيب اللّبي - نسخة مصورة من المصحف العثماني الأصل: أهدي للمكتبة من الإدارة الدينية لمسلمي آسيا الوسطى وقزاقستان عام 1411هـ/1990م<sup>15</sup>.

\*\* وفي الواجهة المواجهة للداخل إلى المكتبة خزانان كبيرتان فوقهما ساعة كبيرة الحجم كتبت عليها أوقات الصلوات الخمس، وبالخزانة كتب الحديث النبوي.

\*\* الصف الأيمن تجد فيه المعارف العامة- علوم الدين الإسلامي - علوم القرآن الكريم- التفسير - القراءات والتجويد.

تنوع خدمات المكتبة لزوارها، فهناك الكتب التي يمكن أخذها مباشرة من رفوفها والجلوس على إحدى الطاولات للمطالعة، ويمكن للقارئ تصوير ما يراه مناسباً له، كما يمكنه طلب خدمات جهاز الكمبيوتر للبحث أو لطبع ما يريد أو طلب أشرطة في موضوع ما بلون مقابل.

من تنظيمات البيت الحرام: بنبع الحرمان المكي والمدني للرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي تحت رئاسة عبد الرحمن السديس حالياً (2016)، ومن بين مؤسسات الحرمين مديرية تولى مسؤولية المكتبة ولها أمين هو حسن الزهراري الذي زناه في مكبه مرتين: يوم الأربعاء 23 مارس 2016 وفي يوم ثانٍ لإكمال بقية الانشغالات.

يشرف على تنظيم أمور المسجد الحرام رجال أمن يقومون بأعمالهم على أحسن حال بحسب ما لاحظناه في زيارتنا المختلفة للبقاع للقدسة. يلبس قسم منهم لباساً رسمياً شبه عسكري وقسم بلباس مدني سعودي.

يقفون عند أبواب المسجد للمراقبة والتوجيه ولعلق الأبواب عند الضرورة، أي عندما تمتلئ بعض جهات المسجد، إذ أن كل باب يؤدي إلى جهة معينة من المسجد، وهناك أبواب قليلة مخصصة للنساء وأخرى للرجال، أما أغلبها فهي للجنسين.

يبدأ غلق الأبواب كلما امتلأ الداخل بابا بعد آخر. وتكون البداية غالباً من الأبواب التي توصل إلى صحن للطاف (صحن الكعبة). إذ يحرص الناس على القرب من الكعبة سواء للطواف أو للصلاة قبالة

الكعبة نفسها. ثم يتم غلق أبواب الطواق القريبة من الكعبة فالطواق العليا واحداً بعد آخر. وآخرها هي الأماكن المغلقة أو المحجوبة عن الكعبة، وتقع بعيدة عنها.

وتقع الكعبة في مكان منخفض عما جاورها، لذلك تستعمل الأدرج في بعض الجهات المؤدية إليها، منها مضاعف عادية وأخرى كهربائية. هذا إلى جانب المضاعف نحو الطواق العليا، مما يساعد الزوار وينفض من أتعابهم وبخاصة منهم للعوقين وكبار السن.

تواصل الأشغال في البيت الحرام: أدت ظاهرة الأزدحام في موسم الحج إلى كثير من المآسي التي تكررت مراراً، راح ضحيتها العدد الكبير من زوار الأراضي المقدسة. ومن أجل التخفيف من هذه الظاهرة عمدت السلطات السعودية إلى القيام بعملية توسيعات لاستيعاب الأعداد المتزايدة من الزوار من مختلف بقاع العالم. وقد لاحظنا عياناً سير الأشغال على قدم وساق في بعض جهات المسجد الحرام. ويتم العمل ليل نهار من أجل الوصول إلى القضاء على ظاهرة الأزدحام. فالمسجد الحرام يشهد توسيعات متواصلة في أطرافه بتوسيع قاعات الصلاة وصحن للطاف، وهو أمر من المهم بمكان نظراً لصعوبة العمل في أرضية مكة التي تقع في منطقة جبلية يظهر أن صخورها من النوع الصلب، قد يكون نوع الغرانيت بحسب ملاحظة الرائي غير المختص في ميدان الصخور الأرضية.

ومن ضمن ما يقع توسعته الساحات الشمالية والجنوبية وإقامة دورات مياه جديدة، ويتضمن المشروع الجديد إنشاء شبكة طرق حلبيّة مخصصة لمركبات النقل منفصلة تماماً عن ممرات المشاة، كما يتضمن المشروع إقامة مهابط للطائرات للقيام بعمليات إخلاء المرضى ونقلهم إلى المستشفيات بعيداً عن اختناقات الشوارع في وقت الذروة، وبخاصة في موسم رمضاني والحج الذئق يتكاثر فيهما الزوار بشكل كبير، كما تنام أُنفاق داخلية مخصصة للمشاة مزودة بسلام كهربائية تتوفر فيها جميع معايير الأمن والسلامة.<sup>16</sup>

ومن بين ما تم بناؤه من أجل التخفيف من الأزدحام للطواف حول الكعبة، هو إقامة دورين على محيط ساحة الحرم أو صحن الطواف كما تسميه اللانقاة الخيلية. وقد أحل هذا بالمنظر الجميل الذي كانت تبدو عليه الكعبة قبل ذلك. فقد كان الناظر يقع نظره على الكعبة كلياً عندما يظل عليها وهو داخل من أحد الأبواب، أصبحت تلك الأعمدة تعيق النظر فلا تظهر الكعبة إلا جزئياً، حيث أُنقذت تلك الأدوار من رؤية الكعبة كاملة بمنظرها البهي الذي يتشوق إليه كل مسلم من مختلف أصقاع الدنيا رغم خدمتها الإعجابية للطافين. ولكن حدث ما لم يكن في حساننا! فبعد أسبوع فقط من عودتنا إلى الجزائر (الخامس

من شهر أبريل 2016) تم إزالة الدورين المذكورين شيئا فشيئا بحسب ما لاحظته ونحن نراقب الطائفتين عبر التلفزة، شوقا إلى تلك الأيام التي قضيتها هناك.

وهي الكعبة تبدو في أجمي حلة لها، يحيط بها الطائفون في خشوع وإذلال أمام عظمة الله سبحانه وتعالى. لقد اختفت تلك الأدوار بسرعة واتسعت ساحة الكعبة لتمتدع الطائفين بكل راحة.

الأنفاق: تتميز طبوغرافية مكة المكرمة بوقوعها في منطقة صخرية ليس من السهل تمهيدها من منحدرات وعقبات؛ فكان من بين الحلول القيام بإنشاء أنفاق لتسهيل التنقل بين مختلف الجهات. وهناك منحدرات لم تتمكن السلطات من تذييلها كليا، فوفرت لرواد الفنادق مراكب لصعود تلك العقبات ونزول المنحدرات لتزليتها تسهلا لتقليلهم وتخفيفا للأعباء التي يصعب تحملها من قبل زوار الكعبة من المسنين والمرضى وصغار السن. وهذا عكس المدينة للثورة التي تقع في أرض سهلة لا أثر للمنحدرات فيها؛ فالمسجد النبوي والشوارع، كلها في استقامة.

العمار وجنسياتهم: تعدد جنسيات الطائفين الذين يقدمون من مختلف جهات العالم، هناك تستطيع رؤية كل الأجناس البشرية، أيضا وأسودها وملوحتها، جاؤوا كلها شوقا إلى أرض الإسلام المقدسة، ولتأدية مناسك الحج أو العمرة. يكثر المصريون والأثرياء والباكستانيون. يختص الأثرياء بلباسهم الأثري العصري خلاف بقية زوار البيت الحرام، إذ ليس فيهم من يلبس العباة خلاف بقية الزوار. لكنهم يضعون فلسوسة تقليدية على رؤوسهم، كما أنهم يسيرون جماعات جماعات رجالا ونساء. قد يكون معهم دليل يشرح لهم مختلف المعالم أو يقدّمهم في ترديد الأذعية. نساءهم متحجبات ويكشفن عن الوجه والكفين فقط. يضعن معظفا فوق لباسهن قد يصل إلى أسفل الجسم وقد يصل إلى الركبتين، ويضعون تحته سروالا.

أما الهنود والباكستانيون فكثيرون هم أيضا، يلبسون سراويل فضفاضة وقمصان تسدل حتى أعلى السروال. تستعمل الفلسوسة عند الأغلبية منهم. يحملون محافظ سلمت لهم من مؤسسات الأمان في بلدانهم وعلى وجهها عناوين تلك المؤسسات، وهي من خاصيات أغلب الزوار.

هناك أيضا الماليزيون والاندونيسيون، وهم يسيرون منظمين في جماعات معها مرشد وهم بلباس موحد، ويحملون شارات متشابهة أو أشرطة على اللباس ذوات لون معين، يرددون الأذعية المأثورة خلف المرشد باللغة العربية.

ويتعدم وجود الإيرانيين في هذا الموسم (2016)، فهل هي سوء العلاقات بين البلدين: العربية السعودية والإيرانية؟ هو كذلك دون شك.<sup>17</sup>

ويتواجد الجزائريون في أغلب جهات المسجد. فحيثما كنت تسمع كلامهم هنا وهناك؛ فهل هي العطلة المدرسية أم غير ذلك. ويقف تواجد المغاربة ويندر وجود الأفارقة السود. لاحظنا وجود أفراد من نيجيريا فقط. فهل هي الأزمة المالية العالمية وتدني العملات المختلفة. أو الأمر غير ذلك؟ جاورني أحد النيجيريين (نيجيريا)، وطرح علي السؤال رغم صعوبة التفاهم لاختلاف لغة الطرفين، فأعاد ذلك إلى غلاء التكليف، وعندما سألت عن عمله أجابني بأنه صراف، فقلت له لذلك أنت قادر على القيام بالعمرة دون صعوبة فتبسم.

من لقيتهم في مكة المكرمة: ينشغل الإنسان هناك بالعبادة واستغلال فرصة تواجد في البقاع المقدسة للحصول على الحسنات والبركات التي لا توجد في غير هذا المكان؛ ومع ذلك استطعنا أن نتحاور مع بعض من جاورنا في الحرم، واللقاء ببعض معارفنا من الجزائريين، ولكن للحظات فقط. التقيت في مكة بالأستاذ بن داود نصر الدين أستاذ التاريخ الإسلامي بقسم التاريخ بجامعة تلمسان عند مخرج الباب رقم تسعين وهو مجاور لباب فهد في الحرم للمكي عند خروج المصلين من صلاة الظهر. كما التقيت بالأستاذ بدواد عبيد أستاذ التاريخ الإسلامي من قسم التاريخ بجامعة معسكر داخل للمسجد الحرام، حيث لمحني وأنا أهم بالخروج بعد الانتهاء من إحدى الصلوات المكتوبة، فاعترض سبيلي لنسلم على بعضنا ونفترق بعد دقائق بسبب ارتباط كل منا بالأعضاء المراقبين له، لقد اغتم كل منا عطلة الربيع للقيام بمدّة الشعير معنا للقيام أثناء الدراسة، وحتى لا تتعطل الدروس.

وهناك أشخاص غير جزائريين لقيتهم وجاورتهم لأهم جاوروني في مكان أو آخر. فقد حاورت تونسيا في صحن المطاف بعمل أستاذ في معهد ديني بمدينة صفاقس، حول مختلف قراءات القرآن الكريم وعن القراءات المنتشرة في بلاد المغرب وما يقابلها في المشرق وعن الفروق بينها، وكان هو الضالع في الأمر لأنه الأستاذ المختص، والتقيت بتونسي طاعن في السن، أخبرني أنه أدى الطواف ولبس ملبسه العادية دون أن يؤدي منسك السعي بين الصفا والمروة، رغم أن الرجل يرافقه ابنه وأحد المراقبين، وجهته إلى المكان الذي يتواجد به المتون بالمسجد حتى يعرف التصرف الواجب.

وحاورت رجلا أردنيا في التسعين من العمر يقول إنه يملك المئات من رؤوس الأغنام وهو تاجر بالأردن. تحدث عن بلده الأصلي فلسطين التي ترك بها داره، ويتحدث عن الأوضاع العربية المتزدية وعن تحاذل الحكام العرب عن نصرة القضية الفلسطينية.

كما حاورت أحد العمار للمصريين وهو شاب في الثلاثينات من العمر تحدثنا عن التاريخ عامة. وعن الرئيس المصري جمال عبد الناصر، الذي يؤاخذه على دوره في الحياة السياسية في مصر. وعندما أخبرته بما



من معالم مكة: تعدد معالم مكة وبخاصة الدينية منها - بحسب السيد أمين المكتبة (زيارتنا للمكتبة يوم 25 مارس 2016. ولقاءنا بأمينها حسن أحمد الزهراني) - منها:

1- جامعة أم القرى: وتضم كل التخصصات، كانت بدايتها تدريس العلوم الشرعية، يحصل الطلاب فيها على منح تسمى مكافأة إلى جانب السكن المجاني لغير المكين.

2- نادي مكة الأدبي الثقافي: يقوم بالأنشطة المختلفة.

3- وقف الملك عبد العزيز: وهو مؤسسة لخدمة شؤون المسجد الحرام.

4- وقف المغاربة: وهي مؤسسة تشرف على أوقاف المغاربة وتسييرها وتنظيم مواردها وتوزيع ريعها على المستفيدين من مقيمين وطلبة مغاربة. ويحصل طلبة المغرب والجزائر وتونس المتخضعين بها على قيمة مالية مقدراها 1500 ريال شهريا في حالة زواج التسليم، وهذا لهم ولأبنائهم. وفي حالة العزوبة يحصل الطالب على 1200 ريال.

5- جمعية تحفيظ القرآن الكريم: توجد في كل المساجد، وفي مقدمتها الحرم المكي، يلتحق بها التلاميذ الذين أكملوا الحفظ في الكتاتيب، ويتخرجون منها ويدرسون في حلقات التحفيظ لمدة سنة، ويدرسون كلما يرتبط بعلوم القرآن، ويتم هذا كله داخل الحرم.

6- مقبرة المعلاة: هي مقبرة عمومية، تقع في طريق الحجون، جهة حي المعابدة قريبة نسبيا من المسجد الحرام. تضم قبر السيدة خديجة أم المؤمنين وزوجة النبي صلى الله عليه وسلم الأولى، لذلك كثيرا ما يتم بها دفن الموتى الذين تم الصلاة عليهم في المسجد الحرام. توجد بالقرب من حي الجعفرية (وهي سوق بالقرب منها مسجد). لا يسمح بالدخول إلى المقبرة سوى للرجال دون النساء.

زارها ابن بطوطة وقال عنها ما يلي: "وجبنة مكة خارج باب المعلى، ويعرف ذلك الموضع أيضا بالحجون، وبهذه الجبنة مدفن الجم الغفير من الصحابة والتابعين والعلماء والصالحين والأولياء. وأن جملها قد اندثر، ومن المعروف منها قبر أم المؤمنين ووزير سيد المرسلين خديجة بنت خويلد...<sup>21</sup>

تمكنت من الدخول إلى المقبرة، بينما لم يسمح للنسوة اللاتي كن يرافقني من دخولها. هي مقبرة كبيرة على شكل تجمعات للتقبر يفصل بين المجموعة والأخرى حواجز بسيطة من الأرصفة، أما مكان مدفن السيدة خديجة فهو محاط بسياج لا يمكن الدخول إليه، وإنما يمكن النظر إلى القبور القليلة من خارج السياج، مثلما يتم ذلك مع شهداء جبل أحد.

7- أبراج البيت: هي مجموعة أبراج تقع إلى جوار المسجد الحرام. يشتمل البرج على ستة أبراج سكنية هي: برج الصفا - برج المروة - برج هاجر - برج سارة - برج زمزم - برج عبد الكريم. وهناك البرج السابع

بلده في سبيل القضية الجزائرية من دعم ومساندة حين كانت الثورة الجزائرية على أشدها (1954-1962) أضاف أن سيئات جمال أكبر من إنجازاتها على أنه كان السبب في قتل الثقات من البينيين<sup>18</sup> وعدد كبير من الإخوان المسلمين في مصر بعد أن انقلب عليهم.<sup>19</sup> وقد تأسف الشاب المصري عن الأزمة المتعقدة بين الجزائر بعد مباراة كرة القدم التي كان سببها الإعلام (نوفمبر 2009).

صلاة الجنائز: تقترن صلاة الجنائز بكل الصلوات المكتوبة في المسجد الحرام، ذلك أنه بعد كل صلاة مفروضة يعلن المسمع وجود جنازة للصلاة عليها في قوله: "الصلاة على الأموات يرحمكم الله". أو: "الصلاة على الميت والطفل". أو: "الصلاة على الأموات والأطفال". لم تعود نحن في الجزائر مثل هذا الإعلان. لذلك استفسرت عن الأمر أحد المفتين في الحرم المكي، وبخاصة ذكر الطفل أو الأطفال تقريبا لهم عن بقية الأموات. فرد علي بأن الطفل لا يحتاج إلى دعاء لأنه مات ولم يبلغ سن الحساب، وبالتالي فلا مجال للدعاء له؛ بل يجب الدعاء لوالديه بالرحمة والثواب والأجر، بأن يكون الطفل أو الأطفال ذكرا لوالديه وشغعاء لأبائهم يوم القيامة.

توضع العروش أمام الإمام للصلاة على الأموات، وبعد الصلاة تحمل نحو المقبرة، مثل مقبرة البقيع المحاورة للمسجد النبوي في المدينة المنورة، ويتدافع بعض المسلمين خلف الجنائز سواء للمشاركة في حمل العرش أو لمجرد تتبع الجنائز وحضور دفنها من أجل الحصول على الأجر الثاني، بعد أن تحقق لهم الأجر الأول وهو المشاركة في الصلاة على الميت. في قول الرسول: "من شهد الجنائز حتى يُصلى عليها فله قبران، ومن شهدها حتى تدفن فله قبران" قيل وما القبران؟ قال: "مثل الجبلين العظيمين."<sup>20</sup> وقيل مثل جبل أحد. يلفن الأموات في الحاد، واحدا فوق الآخر داخل القبر الواحد مع فاصل بينها، ولا يوضع على القبر سوى حجرة أو حجرين.

أخبرني أحد حراس المقبرة أن الكثير من سكان البلدات القريبة من مكة يعملون موتاهم للصلاة عليهم في الحرم المكي أملا في الدعاء وتبركا بالبيت الحرام، لذلك كان عدد الموتى المصلي عليهم كثيرا وباستمرار.

إرشادات: توجد على أطراف المسجد المكي لوحات لإرشاد المصلين، منها الدعوة إلى الابتعاد عن أماكن الزحام. ومنها: عدم اصطحاب الأمتعة إلى المسجد. ومنها: الدعوة إلى الذكر والاستغفار. ومنها: دعوة زوار المسجد إلى صلاة ركعتي الطواف في أي مكان من المسجد إذا ما لم يجد للمصلي مكانا مناسباً خلف مقام سيدنا إبراهيم. ومنها الدعوة إلى قبول الملاحظات والتوجيهات الصادرة عن أعوان النظام.

المسمى برج الساعة (برج الفندق) وهو أعلاها على الإطلاق، وفيه أعلى ساعة في العالم، وتقع على ارتفاع 545 متراً.

مزارات مكة المكرمة: خصص لنا المرشد صبيحة يوم الأحد 3 أبريل ابتداءً من الساعة الثامنة صباحاً لزيارة بعض الأماكن التي لا بد لزائر المسجد الحرام من الإطلاع عليها، وهي:

1- غار حراء: غار حراء هو المكان الذي نزل فيه القرآن الكريم على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، في أول آية نزلت من القرآن وهي: "اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم، الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم."<sup>22</sup>

ويقع المكان شرق مدينة مكة المكرمة، في أعلى جبل النور، يتميز جبل النور الذي يوجد فيه الغار بأنه شديد الوعورة والاندثار، و يوجد الغار دون قمة الجبل بما يقارب العشرين متراً، ومن أجل الوصول إليه لا بد من الوصول إلى قمة الجبل و من ثم النزول من القمة إلى الغار. عندما يقف الزائر أسفل الجبل يرى زوار المكان وهم يصعدون الجبل في اتجاه الغار، وهو يتطلب الوقت والجهد، وقد يفقد الزائر إحدى الصلوات المكتوبة إذا لم يحسن اختيار الوقت المناسب، وبذلك يفقد مئة ألف حسنة في كل صلاة مفروضة. لذلك فإن أفضل وقت لزيارة المكان هو بعد صلاة الصبح مباشرة بواسطة كراء سيارة للتمكن من العودة قبل صلاة الظهر بوقت كاف.

يتعد فيه، أو لجرد الاطلاع. لكن الصعود إليه ليس بالأمر الهين، فهو متاح فقط لمن يتمتع بالصحة والقوة.

2- غار ثور: يقع غار ثور في أعلى جبل ثور جنوبي مكة، لجأ إليه الرسول أثناء هجرته هو وصاحبه أبو بكر الصديق من مكة إلى المدينة المنورة، وقد يكون الرسول أخذ هذا الاتجاه عمداً تمويهاً لقريش التي كانت تتبع خطواته، لأن يثرب التي كان المسلمون يقصدونها تقع إلى الشمال من مكة وليس إلى جنوبها كما فعل الرسول صلى الله عليه وسلم هو وصاحبه.

فقد هاجر الرسول محمد صلى الله عليه وسلم بأمر الله سبحانه وتعالى إلى المدينة المنورة بعد أن زاد أدى قريش على المسلمين، وأثناء خروجهما من مكة تبعته جماعة من قريش فالتجأ إلى هذا الغار، وقد خاف أبو بكر الصديق من تمكن قريش من القبض على النبي، وعندما وقفت جماعة منهم أمام باب الغار، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم طمأنه وهداً من روعه قائلاً: ما ظنك بآتين الله ثالثهما. ولم تكشف قريش مكانهما، وعادت إلى مكة دون تحقيق مبتغاهما. (العنكبوت والحمامة). اكتفينا برؤية المكان من أسفل الجبل وعدنا أدرأنا نحو الفندق.

3- عرفات والمزدلفة ومنى: هي مواقع مرتبطة بمناسك الحج ولا علاقة لها بمناسك العمرة. تدخل للمرشد ليشرح للزوار أهمية عرفات. "الحج عرفات"، ويبدأ حلودها وأشار إلى مسجد نمر الذي تسم فيه خطبة عرفات. زينا المكان صباحاً، حيث يوجد الباعة على أطراف جبل الرحمة، الذين يفتنون الفرصة لبيع منتجاتهم المتنوعة من البسة وحلويات ومختلف أنواع الطيب كالمسك والكافور والعنبر والعود والعقاقير الهنابية... صعد بعض الزوار جبل الرحمة (هو جزء من عرفات) غير أدرج معدة للصعود، وصعد آخرون عبر طرق مختلفة غير مهلمة، وهذا اعتماداً على قوتهم البدنية. كما في سنة 2010 عند زيارتنا للمكان، قد وجدنا شاباً يظهر أنهم يمنيون، يستعملون الجمال للركوب بالمقابل، لم نجدهم هذه المرة.

أما المزدلفة ومنى فقد مررنا بها دون توقف، وكان المرشد يتدخل من حين لآخر للشرح والتوضيح. فأما المزدلفة ففيها بيت الحجاج في العراء بعد عودتهم من عرفات، وفيها يجمعون الحصى لرميها في منى في الأيام الليلية. وفي منى يبيت الناس في مخيمات مقابلة للغرض، لكل دولة مقرات خاصة مرقمة، يستطيع الزائر معرفتها بالبطاقات التي سلمت له من قبل الجهات المعنية.

تبعد منى عن مكة بخمسة كيلومترات شرقاً، وتقع في الطريق الواصل بين مكة وعرفات، يبقى فيها الحجيج في أيام التشريق يومين أو ثلاثة أيام بحسب ظروف كل حاج، وفي منى يقوم الحاج برمي الجمرات.

4- مسجد التعميم: ويسمى أيضاً مسجد عائشة، ويقع خارج جلود الحرم المكي، ويحرم منه بالعمرة لمن كان بمكة. حيث يقوم بعض زوار البيت الذين انتهوا من شعيرة العمرة أو الحج، بالقيام بالعمرة نيابة عن غيرهم ممن توفوا أو ممن ليست لهم القدرة على القيام بها. يمكن للشخص أن يستقل الحافلة الموصلة إلى المكان من منطقة الحرم نفسه، وموقف الحافلات قريب من باب فهد. كانت علي عمرة أديتها ذات يوم من أيام إقامتنا، والمكان غير بعيد.

التجارة في البقاع المقدسة: تتعدد التجارة في البقاع المقدسة في كل ما يخدم زوار المسجد سواء كانوا عمارة أو حجاً. ولكن الملاحظ هو غياب السعوديين عن هذا الميدان. فالباكستانيون هم المسيطرون على هذا القطاع، وبخاصة تجارة المواد الغذائية والمطاعم والمخازن وقاعات الحلاقة، كما يوجد الأتقان والهنود المسلمون منهم طبعاً، وهم موجودون ضمن خدام المسجد من منظرين إلى جانب سائقي الحافلات وسيارات الأجرة. ويقلب على حديث هؤلاء اللكنة الأعجمية عندما يكلمونك باللهجة العربية السعودية، منهم من يستطيع الإفصاح عن كلامه ومنهم من لا يحسن التعبير بالعربية بتاتا.

وقد بدأ غزو اليمنيين لبعض أنواع التجارة كتجارة الملابس والأواني المنزلية وغيرها، وإلى جانب أبواب التجارة هناك يمينا من الطبقة الدنيا كعمال نظافة أو كمساعدي نجار، كما يوجد المصريون في قطاع الملابس.

في الاتجاه إلى المدينة المنورة: بعد تسعة أيام من الإقامة في مكة المكرمة، ألقنا نحو المدينة، بعد تأدية صلاة الجمعة، وكان التاريخ هو اليوم الأول من شهر أبريل، حيث حضرنا جمعيتين في الحرم المكي. صليبا العصر والمغرب ونحن في الطريق إلى المدينة، أما صلاة العشاء فقد أديناها في المدينة المنورة بعد وصولنا إليها.

كان الفندق الذي نزلنا فيه هو "فندق أريس المدينة"، والذي يقرب كثيرا من المسجد النبوي، في جنوبيه الغربي، نستطيع منه رؤية مآذن المسجد. سلمونا مفاتيح الغرف وبطاقة تظهر فيها عنوان الفندق وعليه اسم الزائر ورقم الغرفة ليكون دليلا للزائر وطريقا للعودة إلى الفندق بكل سهولة في حالة التيهان.

المسجد النبوي: يعتبر المسجد النبوي أحد المساجد الثلاثة التي تشد إليها الرحال، نشأ مع نشأة المدينة المنورة بحلول النبي محمد صلى الله عليه وسلم بها قلاما من مكة فوارا من قبيلة قريش التي اضطره هو وأتباعه.

تمت توسعة المسجد عشرات المرات مما غير من معالنه التي كان عليها في عصور سابقة. ما زال الروضة وقبر النبي هو وصاحبه أبا بكر وعمر بن الخطاب شاهدة على منشئه الأول. توجد هذه الأضرحة في مقدمة المسجد أي في اتجاه القبلة، يمر الزائر أمام الأضرحة وهو يدعو لهم بعد أن يذكر ما ترجمهم وجهادهم في تثبيت الدين الإسلامي وإقامة الدولة الإسلامية. وفي هذه الجهة توجد الروضة الشريفة التي أشار إليه النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: "ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة"<sup>23</sup> لذلك يحرص الزوار على الصلاة في هذا المكان والتمتع بالجلوس فيه للعبادة والذكرى.

كان الوصول إلى الروضة، في سنوات سابقة، من أصعب الأمور في المسجد النبوي، مثله في ذلك مثل الوصول إلى الحجر الأسود؛ وقد تم تصحيح الوضع حيث يقوم المنظفون حاليا (2016)، بتقسيم الراغبين في الوصول إلى الروضة إلى جماعات على شكل دفعات واحدة بعد أخرى داخل مربع مغلق بجاحز، كما يخصص وقت لزيارة النساء؛ مما يسمح لكل راغب في الوصول إلى الروضة الشريفة من تحقيق هدفه وتأدية الصلاة فيها؛

**مكتبة المسجد (الحرم) النبوي:** تعتبر مكتبة المسجد النبوي مركزا علميا لاسيما وأنها في قلب المسجد مما جعل لها مكانة عالية عند أهل العلم. تقع في سفح المسجد النبوي الشمالي الغربي، وتضم أكثر من 100 ألف كتاب، وروها سنويا حوالي 700 ألف زائر. وقد تعرضت لحريق أصاب الكتب والمصاحف في 13 رمضان سنة 1481/886م، وأعيد تأسيسها في العهد السعودي عام 1352/1934م مع وجود بعض الكتب التي يعود تاريخ وقفها إلى ما قبل التاريخ الأخير، وهي بذلك تعد من أقدم المكتبات في المدينة المنورة.<sup>24</sup>

وتضم المكتبة عدة أقسام هي: قسم المطالعة وقد تم فيه فصل الرجال عن النساء، وتضم مكتبة رقمية بما أجهزة حاسب آلي مرتبط بشبكة خاصة. كما تحتوي على قسم المجموعات الخاصة وتضم خزنة للمخطوطات الأصلية ومصورات ورقية وميكروفيلمية ورقمية. كما تضم أجهزة تصوير وأجهزة تعقيم وصيانة المخطوطات. وهناك قسم الكتب النادرة والدوريات وقسم المكتبة الصوتية (تلاوات) - دروس - خطب - صلوات، وفيها القسم الفني وقسم الفهرسة والتصنيف والتزويد.<sup>25</sup>

محيط المسجد النبوي بالمدينة المنورة: توجد في المحيط الغربي للمسجد النبوي معارض منها "معرض رسول الله" صلى الله عليه وسلم، به صور ومجسمات ومخططات لتاريخ مكة والمدينة المنورة: منها هجرة الرسول من مكة إلى المدينة وخط سيره منفصلا وموضحا بواسطة أشكال، وبه المخططات التي توقف بها أو جِدَّت له شأن فيها، هناك مخططات مصغرة وأخرى مكبرة. ومنها حياة الرسول: كمولده وطوقته وتجارته وزواجه وعلاقته بأهله وذكر زوجته ومعاملاته معهن ومع بقية خلق الله على شكل مجسمات ومخططات حائطية كبيرة، وهناك رسوم للمعارك والغزوات التي شارك فيها الرسول صلى الله عليه وسلم. اطلعت على المعرض في يوم من أيام وجودي بالمدينة.

وهناك "معرض القرآن الكريم" وهو معرض متنقل كما هو مبين على الصفحة الإشهارية. تأسس سنة 2015، في موسم حج السنة المذكورة، كما يقول أحد الموظفين في المكان. يتكون من قاعات بما مصاحف من عصور مختلفة. يقع أسفل بناية ضخمة فيه صور وخرائط وأشرطة متلفزة. به مصاحف قديمة مكتوبة بخط اليد، تعود إلى عصور سابقة. منها أكبر مصحف وطوله 142 سنتيمتر، وعرضه 80 سنتيمتر، ووزنه: 154 كيلوغرام، وعمره 197 سنة. مكتوب بالخط المستعمل ومعه ترجمة إلى اللغة الفارسية باللون الأحمر. كاتبه هو غلام محي الدين، يظهر أنه من بلد أسبوي. ومنها مصحف بخط مغربي على جلد الغزال عمره 900 سنة<sup>26</sup>، هناك مرشدون يستعملون اللغة العربية والانكليزية والأردية.

مزارات المدينة المنورة: كانت زيارتنا لمزارات المدينة يوم الأحد الثالث من شهر أبريل ابتداء من الساعة الثامنة صباحا. لاحظنا ونحن نمر بالطرق الكبرى للمدينة أن هناك طرقا كبرى تربط بين المدن تحمل أسماء بعض كبار الصحابة مثل طريق خالد بن الوليد وطريق أبوبكر الصديق وطريق عثمان بن عفان وطريق عمر بن الخطاب... وقد أقمنا الزيارة قبل حلول صلاة الظهر باعتبار هذه المواقع موجودة في المدينة أو في محيطها القريب.

يتواجد في هذه الأمكنة عدد من التجار المتحولين بكثافة، يعرضون سلعهم للزوار هنا وهناك، وتمثل هذه السلع في أنواع من البخور والتمور والألبسة الجاهزة والحلويات، تعرض على عربات يدوية يدفعها أصحابها، كما توجد سيارات مكشوفة المسطح تعرض السلع فوقها. يحاول تجار هذه السلع التقرب من الزوار بمختلف الوسائل لبيع سلعهم عن طريق دعوة الزوار لشراؤها ونشرها بأيديهم أو بذكر مميزات أو بمصادر إنتاجها. وتمثل المواقع التي زرناها فيما يلي:

1- مسجد قباء: هو أول مسجد بناه المسلمون، بناه النبي وهو متوجه إلى المدينة، يقع إلى الجنوب منها، وقد اهتم المسلمون بعمارة المسجد خلال العصور المختلفة. لمسجد قباء فضل عظيم، فقد ورد فيه قول الرسول صلى الله عليه وسلم أنه من تطهر في بيته ثم أتى مسجد قباء وصلّى فيه كان له كأجر عمرة.

2- مقبرة البقيع: وتسمى أيضا بقبع الغردق وتقع جنوب شرق للمسجد النبوي، تعتبر مقبرة الصحابة، أشهرهم قبر عثمان بن عفان الذي زاره ابن بطوطة سنة 1326م حاجا، وتحدث في رحلته عن البقيع، قائلا: "يقع بقبع الغردق شرقي للمدينة المكرمة ويخرج إليه على باب يعرف بباب البقيع". ويذكر عددا من الصحابة والصحابيات ومن المهاجرين والأنصار المدفونين بالمقبرة، ويذكر أن هناك قباب على بعض القبور، منها الكبيرة ومنها الصغيرة. ويضيف قائلا: "وفي آخر البقيع قبر أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه وعليه قبة كبيرة."<sup>27</sup> وقد قامت الدولة السعودية بهدم تلك القباب لمنع الزيارات، وسويت كل القبور بالأرض. ويعتقد الوهابيون أن زيارة وتعظيم قبور الأنبياء والصالحين هي عبادة لأصحاب هذه القبور وشرك بالله ينبغي القضاء عليه.

3- مقبرة أحد: تضم هذه المقبرة وفات سبعين من الصحابة الذين استشهدوا في غزوة أحد، وتقع المقبرة عند قاعدة جبل أحد، حيث قام المسلمون بلفش شهدائهم السبعين بعد انتهاء المعركة، فيهم حمزة بن عبد المطلب ومصعب بن عمير رضي الله عنهما. ولهذا الجبل مكانة متميزة في نفوس المسلمين، جاءت في فضله الأحاديث العظيمة، منها قوله صلى الله عليه وسلم: أحد جبل يحبنا ونحبه. وكان الرسول يزور للكان من حين إلى آخر، ويجوز المقبرة جبل الرماة الذي وضع الرسول فيه الرماة من جيشه، والذين

أوصاهم بعدم ترك أماكنهم مهما كان الأمر، لكنهم تركوها وذهبوا لجمع الغنائم عندما رأوا انتصار المسلمين، فكانت الكارثة التي حلت بالمسلمين.

4- مسجد القبلتين: يقع هذا المسجد في الجهة الغربية من المدينة المنورة في هضبة "حرة الوبرة". وقد سمي كذلك لتغير قبلة المسلمين الأولى من المسجد الأقصى نحو المسجد الحرام في هذا المسجد بالذات. فقد كان المسلمون يصلون في البداية نحو المسجد الأقصى (مدة ستة عشر شهرا)، وعندما نزل الأمر من الله سبحانه بتحويل القبلة نحو المسجد الحرام غير المسلمون القبلة.

كان الرسول صلى الله عليه وسلم يصلي بالمسلمين صلاة الظهر، وبعد أن صلى بهم أول ركعتين على قبلة المسجد الأقصى المبارك، جاء الأمر بالتحويل، فحوّل الرسول وجهته في الصلاة، هو ومن معه، إلى المسجد الحرام والكعبة المشرفة. وذلك في قوله سبحانه وتعالى: "قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا، فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَخَيْمًا كُنْتُمْ فَوَاقِمًا وَلُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ..."<sup>28</sup>

5- مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف: في اليوم نفسه الذي خصصه المرشد الجزائري المصاحب لنا اقترح علينا زيارة المجمع المذكور فوافقنا على الأمر، لكن سائق الحافلة، وبحسب المرشد، اعتذر عن القيام بذلك، لأنه ليس في برنامجه هذه الزيارة، وبعد الإلحاح سار السائق بنا إلى المجمع، وهو موجود بأحد المواقع بالمدينة المنورة.

طلب المرشد نزول الرجال دون النساء، وعند باب المؤسسة وجدنا البواب الذي طلب منا الانتظار عند الباب حتى ينسحب الزوار الذين سبقونا إلى هناك. أي حتى لا يتكاثر الناس داخل المؤسسة. وبعد هنيهة كانت طويلة بالنسبة إلينا، سمح لنا بالدخول واحدا بعد آخر في نظام دقيق. دخلت مجموعتنا مع جموع وفد من المصريين. أوصلونا إلى شرفة تطل على المطبعة، وتقدم أحد الموظفين السعوديين ليعرفنا بالمؤسسة وبأهدافها.

كان مما قاله الموظف: أن الهدف من إنشائه هو العناية بالقرآن الكريم حفظا وطباعة وتوزيعا على المسلمين في مختلف أرجاء العالم. وأن نشأته تمت في 26 محرم من سنة 1403هـ/1982م. وتم افتتاحه من قبل الملك فهد في 6 صفر من سنة 1405هـ/1984م. وهو يتربع على مساحة 250.000 متر مربع. هو عبارة عن وحدة عمرانية متكاملة. يضم مسجدا ومبان إدارية وأخرى للصيانة والمطبعة والمكتبة وغيرها..

أهم هدف أقيم من أجله المجمع هو طباعة المصحف الشريف بالروايات المشهورة في العالم الإسلامي، وترجمة معانيه إلى مختلف اللغات العالمية وتوزيع إصدارات المجمع من مصاحف ومؤلفات أخرى على المسلمين في مختلف جهات العالم.

ويقدم المجمع هدية بسموها "هدية خادم الحرمين الشريفين السنوية" لحجاج بيت الله الحرام. وقد تسلمنا نحن العمل مصحفا لكل واحد منا. وهم بذلك يسلمون المصحف لكل زائر على مدار السنة.

يلدرك أن الطاقة الإنتاجية للمطبعة هي 13 مليون نسخة سنويا من مختلف الإصدارات. أما للمصاحف فينتج منها المجمع ما متوسطه 10 ملايين نسخة. وإضافة إلى طباعة المصحف الشريف يجري المجمع دراسات وأبحاث مستمرة لخدمة كتاب الله والسنة النبوية. يعمل به نحو 1700 فرد بين علماء وأساتذة جامعات وفنيين وإداريين. يزوره سنويا نحو أربع مائة ألف شخص من مختلف بلدان العالم لمشاهدة هذا الصرح الإسلامي.<sup>29</sup> كان الإقلاع يتم دائما انطلاقا من الفندق، ولذلك كنا نعود أيضا إلى الفندق بعد الانتهاء من كل زيارة.

العودة إلى الوطن: بعد انقضاء المدة المقررة وهي سبعة عشر يوما باحتساب يومي الذهاب والإياب، بدأ الاستعداد للعودة، قمنا بإنزال أمتعتنا من الغرف ووضعها في رواق الفندق في انتظار قدوم الحافلة التي ستقلنا إلى مطار المدينة المنورة. وعلى الساعة الثالثة صباحا من يوم الثلاثاء الخامس من شهر أبريل انطلقنا من الفندق في اتجاه مطار المدينة، تتبعنا هناك الطابور للحصول على ورقة الدخول (Billier d'accès)، وفي الوقت نفسه دفعنا قيمة ماء زمزم في شباك آخر، ليسلمونا خمس لترات لكل فرد بحسب ورقة الدخول، دفعناها في شباك خاص غير الذي دفعنا فيه أمتعتنا، وجلسنا نتظر الإعلان عن الدخول.

كان الوقت يمر يبطء، وكان الجو جد بارد، لقد كان المكيف في أدنى درجات الحرارة، ولم تكن مستعدين لقبول تلك البرودة، لأننا كنا في بلد حار ولم تكن نلبس سوى البسة صيفية خفيفة؛ بعد أن دفعنا جل البستنا مع الأمتعة. طلبنا رفع درجة الحرارة فلم يقبل طلبنا، فصرنا وبحث كل منا عن شيء أبقاه معه ليتدثر به.

وعلى الساعة الخامسة، بتوفيق السعودية، حان موعد الإقلاع، وباسم الله جُرحاها ومُرْساها انطلقت بنا الطائرة نحو الجزائر. وبعد ست ساعات من الطيران كنا في مطار وهران أحمد بن بلة، وبذلك عدنا إلى حياتنا العادية بين ذريتنا وأبنائنا ووطننا.

الخلاصة: أن زيارة الأراضي المقدسة بعيد ذكره الزائر إلى أيام عز المسلمين وتألقهم في الحضارة والمعرفة، كما تربطه بديانته الإسلامية بنظا جديدا، وتذكره بالحن التي لقبها الرسول صلى الله عليه وسلم هو وصحابته أمام قريش والمشركين عامة.

بقاع العالم، فهناك يلتقي بالأسويين وبعض مسلمي أوروبا... ومن إفريقيا... ومن البلاد العربية إلى جانب بعض الأفراد القادمين من الأمريكيتين.

هناك يتعرف على مدى اتساع البلاد الإسلامية وتعداد المسلمين الكبير واتسارهم في مختلف بقاع العالم. ويحس في الوقت نفسه بالمرارة لما هو عليه حال المسلمين عملة وفي البلاد التي توجد بها أقليات إسلامية بخاصة. فتلك المساحة الشاسعة المترامية، وذلك العدد الضخم من السكان يمكن استغلاله للدفاع عن قضايا المسلمين الشائكة كقضية فلسطين المحتلة وما يقاسيه مرابطو المسجد الأقصى، ثالث الحرمين وأولى القبليين، من حصار واعتداء وتجويد من قبل الإسرائيليين من جهة، ومن جهة أخرى ما تقاسيه الأقليات المسلمة في كشمير وبورما وغيرها.

فما هي أسباب هذا الوضع المأساوي الذي يعيشه المسلمون؟ لا شك أنه التخلف البائن هو السبب الأساس فيما يعانيه المسلمون، وما وصلنا إليه تفرق وتشردم مما زاد من معاناتنا. فمظاهر التخلف سائدة في مختلف القطاعات والفساد ساري المفعول ولا أثر للتغيير في الأفق.

#### الهوامش:

- 1- سورة البقرة، الآية: 127.---2- أبو الحسن علي بن الحسين بن علي السعدي، موج الذهب ومعادن الجواهر، الجزء الثاني، تحقيق محمد عمي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت 1948، ص: 278.---3- سورة البقرة، الآية: 196.
- 4- سورة البقرة، الآية: 158.---5- هـي الدين أبي الطيب محمد بن أحمد بن علي القرشي الهاشمي الحسيني الفاسي (775-832هـ)، الزهور المنتظفة من تاريخ مكة المشرفة، حققه وعلق عليه أديب محمد الغزوي، دار صادر، بيروت ط1، 2000. ص: 30. فراه وقدم له محمود الأرنؤوط.---6- خمسة، ص: 41.---7- قطب الدين الخفجي، تاريخ المدينة، تقديم وتعليق محمد زهيم محمد عرب، لناشر مكتبة الثقافة الدينية، الظاهر 1928، ص: 21 و25.---
- 8- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء الثاني 1500-1830، دار البصائر، الطبعة السادسة، الجزائر 2009، ص: 387.---9- أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، الجزء الأول، مطبعة الحلبي وأولاده بمصر، عالم الكتب 1347هـ.---10- محمد بن إسماعيل الأمير اليمني الصناعي، سبل السلام شرح بلوغ المرام من جمع أداة الأحكام، الجزء الثاني، دار لكتاب العربي، بيروت 1405هـ/1984م، ص: 367.---11- للتفصيل أكثر بنظر موقع: <http://www.kalamalyom.com> بتاريخ أول جوي 2016.---12- القشبندي طريقة صوفية تنسب إلى محمد عماد الدين نقشبند المولود سنة 1317م في إحدى قرى بخارى. من أهم شروطها أن يكون شيخها من العلماء الأعلام الذين جمعوا العلم والذكر. (بنظر: محمود علي عامر، تاريخ الدولة العثمانية، منشورات جامعة دمشق 2004. ص:

161. تنتشر الطريقة في تركيا وفي بلدان أسوية كثيرة. تتخذ من جامع إسكندر باشا بحي محمد الفاتح في إسطنبول مركزها الرئيسي لها. منها جماعة إسماعيل آغا وجماعة بيجالي وجماعة أران كوي وأوقاف المرادي... ---13- من كتيب يوزع بجاننا في المكتبة تحت عنوان: "الإعلام بخصائص مكتبة المسجد الحرام". الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي، مكتبة المسجد الحرام، ص: 5 من الكتيب. زيارتنا للمكتبة يوم 25 مارس 2016. ولقائنا بأمينها السيد حسن أحمد الزهراني. (مديرها آنذاك هو أحمد بن فهد الشويعر). ---14- من الكتيب نفسه، ص: 6. ---15- لاحظت ذلك عيناها خلال زيارتي للمكتبة. ---16- ينظر: [www.annasroline.com](http://www.annasroline.com) ع/نصيب. بتاريخ 2 يناير 2015. ---
- 17- شهدت العلاقات الإيرانية السعودية عدة توترات بسبب أزمة اليمن وثورة الحوثيين، وثورة الشباب فيها سنة 2011. وأزمة سوريا والتدخل الإيراني في البحرين وفي سوريا بالإضافة إلى تدخل حزب الله اللبناني في هذه الجهات مباشرة أو غير مباشرة، مما أثار بين الجانبين حريا إعلامية شديدة بل وقطع للعلاقات الدبلوماسية بين البلدين. ---18- حرب اليمن أو ثورة 26 سبتمبر: قام بها المناهضون للنظام الملكي (الإمام) والمطالبون بإقامة نظام جمهوري. وقد دعمت العربية السعودية والأردن الملكيين بينما دعمت مصر عبد الناصر الجمهوريين الذين انتصروا بعد ثمان سنوات من الحرب الأهلية (1962.1970) وفر الإمام إلى السعودية وانتصرت الثورة بقيادة عبد الله السلال. ---19- تضامنت حركة الإخوان للمسلمين في بداية الأربعينيات من القرن العشرين مع الضباط الأحرار لتغيير النظام القائم في مصر، وبعد الانتصار على النظام الحديوي سنة 1952، وقع خلاف بين جمال عبد الناصر وجماعة الإخوان، وقام عبد الناصر بتصفية عدد من زعامات هذا التنظيم. ---20- أبو زكرياء محي الدين يحيى بن شرف النووي، رياض الصالحين، دار ابن الجوزي، القاهرة ص: 247. ---21- محمد بن عبد الله بن بطوطة، المصدر السابق، ص: 126. نهنا الأستاذ داودي عبد القادر من قسم العلوم الإسلامية بجامعة وهران إلى بعض المواقع التي لم نذكرها في البداية، وبخاصة وأنه درس كطالب بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة بين سنوات 1989 و1993م. له الشكر الجزيل. ---22- سورة العلق الآيات من 1 إلى 5. ---23- أبو عبد الله محمد بن إسماعيل ابن إبراهيم بن للغيرة البخاري، الجزء الثاني عالم الكتب، الطبعة الرابعة، بيروت 1405هـ/1985، ص: 137. 24- ينظر: [ar.wikipedia.org](http://ar.wikipedia.org) ([alarabiya.net](http://alarabiya.net)) بتاريخ 20-8-2016. الساعة 11 ليلا. ---25- ينظر: ([www.abryadh.com](http://www.abryadh.com)) يوم 20/8/2016 لساعة 11 ليلا.
- 26- من تصريح لأحد المرشدين في المكان. ---27- محمد بن عبد الله بن بطوطة، للمصدر السابق، ص: 126. ---28- سورة البقرة، الآية: 144. ---29- ينظر موقع: [www.qurancomplex.org](http://www.qurancomplex.org) بتاريخ أول حوي 2016.

**Abstract:** I have a trip to the holy land in Hijaz in March 2016/1437H, which I performed my Umrah with my little family. We've doing our Ihram in the plane and when we arrived we've Circling (Tawāf) Around the Ka'bah and sought between Safa and Marwa and shorten our hair, so we've outof Ihram from the day of arrival.

I recorded the path of this trip, which is limited to the Holy Mecca and the Prophet's of fifteen days; he described the feelings and religious shrines, monuments, and talked about the specifications and the Holy Visitors.